المبحث الأول

تحقيق التراث اللغوي وأشكاله

يعدّ تحقيق التراث شكلٌ من أشكال البحث اللغوي اللواتي ذكرتها في بداية الفصل، لذلك قسّمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، هي:

- **المطلب الأول:** تحقيق التراث لغة واصطلاحاً،ثم التعرّف على أوليات ظهور تحقيق التراث اللغوي.
- **المطلب الثاني:**الطباعة في المنطقة العربية وأثرها في التحقيق.
- **المطلب الثالث:** التحليل الزماني والموضوعي والمكاني للكتب المحققة

المطلب الأول: تحقيق التراث لغة واصطلاحاً وأوليات ظهوره

التحقيق لغةً: من ((حققتُ الأمر،وأحققته، كنتُ على يقينٍ منه)) [1].

أما اصطلاحاً فهو ((إخراج النصّ وفقاً لما يراه المؤلف)) [2]، بوسائل النشر الحديثة.

فهو ((جمع المخطوطات ودراستها دراسة فاحصة ممعنة،ومقابلة نصّها ببعض وإخراجها للطبع بدقة متناهية،وبصورة أمنية كما أرادها صاحبها دون تحريفٍ أو تصحيف أو زيادة أو نقصان بحيث تكون كالأصل ما أمكن...وذلك بعرضها على وسائل الضبط والتخريج وبيان الزائد المحذوف والتعليق على كل ما يراه المحقق مقيماً للنصّ من تخريج الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال...مما يخدم النص ويقرّبه من الباحثين في ضوء أصول التحقيق التي استنَّها العلماء)) [3].

والتراث لغةً فمأخوذة من (وَرِثَ)،والتاء في (التراث)مُبْدلة من الواو،فالعرب يقولون:ورِثتُ الشيء من أبي أرِثه وراثةً وإرثاً [4].

أما اصطلاحاً فهو: ((تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها لنا التاريخ كاملةً،أو مبتورة، فوصلت إلينا في صورة كتب مخطوطة،أو لفائف أو كراسات)) [5].

وقد تعرّض التراث العربي للنكبات والمحن العاتية التي عصفت به وبكنوزه،بعضها دهمه من الشرق ومن الغرب،وبعضها الآخر ثار من تحت قدميه،فمن الشرق جاء الغزو المغولي الذي دمر الحضارة العباسية في بغداد،وقضى على مقتنيات بيت الحكمة بالحرق أو بالإغراق في نهر دجلة،ومن الغرب جاء الغزو الصليبي الذي أتلف المراكز المهمة للحضارة الإسلامية في الشام،

---

(1) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ،د.رمضان عبد التواب،الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط1، 1986، ص5.

(2) المنهج النحوي ما بين عبد السلام هارون ومحمد محيي الدين عبد الحميد،رسالة ماجستير،جمال نمر محمد،إشراف أ.د.أحمد حسن حامد،جامعة النجاح بنابلس،فلسطين،2000م، ص5.

(3) ينظر: لسان العرب (باب وَرِثَ) :266/15.

(4) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره،د.عبد المجيد ذياب،دار المعارف،1993، 12.

(5) لسان العرب: (باب حقق):258/3.

وقضى على المكتبات،أما البعض الآخر فهي آثار الفتن الداخلية سواء أكانت مذهبية أو سياسية،أو اقتصادية،التي ذهب ضحيتها آلاف الكتب [1].

مُزّق هذا التراث، وضاع منه ما ضاع،وسُرِق منه ما سُرق، وما تبقّى في المكتبات أقل مما كان موجود،إذ تجد الكتاب في بعض الأحيان تتوزّع نسخه بين المكتبات،فقد لا تتجمّع أجزاء النسخة الواحدة في مكتبة واحدة،فتجد جزءاً هنا وجزءاً هناك [2].

بدأ شكل التحقيق عند العرب مبكراً،ونشأت الحاجة إليه عندما قلّ الاعتماد على الرواية الشفوية في تحصيل العلم؛ لأن الشك في الكلمة المدوّنة وعدم الثقة بما هو مكتوب، هما السبب في أنهم لم يجيزوا لأحد أن يقرأ لتلاميذه شيئاً من كتابٍ معيّن،إلاّ إذا كان قد قرأ على مؤلفه أو على مَنْ قرأه على مؤلفه،وحصل من شيخه على إجازة برواية هذا الكتاب أو ذاك [3].

سادت هذه الطرق في القرون الأولى للإسلام،فقد كانوا لا يقبلون من أحد أن يأخذ كلمة عن الكتب وحدها، بلا سماعٍ من الشيوخ [4]، وقالوا ((لا تأخذوا القرآن عن المصحفيين، ولا العلم عن الصحفيين)) [5].

أما التحقيق بمعناه الاصطلاحي فلم يتّضح إلا بعد ظهور الطباعة وتطورها،وانتشار المطابع،إذ بدأ البحث في المخطوطات والكتب النادرة لتطبع حسبما كان يراه الطابع من أهمية هذا الكتاب أو ذاك، والمعروف أن أول كتابٍ طُبِع في مطبعة غوتنبرغ هو (التوراة)، في أواسط القرن الخامس عشر،ثم طُبِع بعده كتاب(أيسوب) وهو مجموعة من القصص الشعبي اليوناني باللاتينية[6]، واستمر طبع الكتب دون إتباع قواعد واضحة،ولم يهتموا بصحّة النسخة أو مقابلة النسخ(إن وجدت)،حتى وضعوا أصولاً

علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة [7]في القرن التاسع عشر، وقد اتبع المستشرقون

تلك الأصول عندما اتجهوا إلى المنطقة العربية والشرقية ليظهر اهتمامهم بالتراث اللغوي العربي

---

(1) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 12 ، 13.
(2) ينظر: م. ن : 13 .
(3) ينظر: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، ص 15.
(4) ينظر: م. ن : 16 .
(5) تصحيفات المحدّثين،أبي أحمد العسكري:6/1،نقلاً عن مدخل إلى نشر التراث العربي،د.محمود محمد الطناحي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1984، ص 288.
(6) ينظر:مقدمة في تاريخ الكتب والمكتبات، محمد ماهر حمادة،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1، 1996، ص110.
(7) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره:14.

عندما ألقى برجشتراسرBerG Strusser محاضرات على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1931بعنوان((أصول نقد النصوص ونشر الكتب))[1].

ويشار هنا أن الجهود العربية المبذولة في هذه الفترة في تحقيق التراث اللغوي كانت جزءاً من عملية تحقيق التراث العربي بشكلٍ عام،إلاّ أن موضوعات(الدين واللغة والأدب والتاريخ) كانت من أبرز ما اهتم به العرب والمستشرقون على حدٍ سواء[2].

أما أشكاله فنعني بها الكتب اللغوية المنشورة دون تحقيق،والكتب المحققة،وأيضاً ما ورد منها بتحقيقٍ مشترك أو غير مشترك،كذلك من أشكال التحقيق ما هو محقق على شكل كتاب أو بحثٍ منشور أو رسالة أو أطروحة.

وهناك أشكالٌ أخرى للتحقيق،فبعض المحقق مشروح وآخر معلّق عليه ربما ذُيّل بملاحظاتٍ وهكذا.

وبكل الأحوال فإن التسلسل الزمني لكلّ هذه الأشكال هو ما يهمنا لمتابعة تطور الكتاب اللغوي نشراً وتحقيقاً خلال هذه الفترة حتى سنة1950.

---

(1) محاضرات ألقاها المستشرق الألماني،تقديم محمد حمدي البكري،الرياض،دار المريخ،د.ت.

(2) ظهرت عدّة أبحاث في التحقيق ومناهجه من 1931إلى1979م،عندما وضعت الجامعة العربية منهجاً لتحقيق التراث،ينظر:تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره:15/المقدمة.

المطلب الثاني:الطباعة في المنطقة العربية وأثرها في التحقيق:

مرّت الطباعة العربية بمرحلتين اثنتين هما[1]:

1- **المرحلة الأولى:** وتتضمّن ظهور الطباعة بالأحرف العربية في مدن أوربية مثل فانو والبندقية بإيطاليا،عندما أمر البابا يوليوس الثاني سنة1514م بطبع أول كتاب بالعربية وهو (صلاة السواعي)ثم سفر الزبور سنة1516م، إلا أن القرآن الكريم لم يطبع إلا سنة 1547م ثم ترجمته إلى الإيطالية،وتوالى طبع الكتب العربية بعد ذلك،فبدأت المطابع العربية تكثر في مدن أوربية أخرى أهمها لندن وليبزج وليدن وروما وغيرها،حيث تمّ طبع مئات الكتب العربية.

2- **المرحلة الثانية:**في هذه المرحلة بدأت الطباعة في الشرق في كل من الآستانة وسوريا ولبنان والعراق واليمن في القرن الثامن عشر،ولكن بسنوات متفاوتة من هذا القرن، فقد طُبِع الإنجيل في سوريا وبعض الكتب المسيحية سنة 1706م، أما تركيا فقد عرفت الطباعة قبل غيرها من بلاد الشرق الأدنى والأقصى،فقد بدأت تطبع كتب اللغة والتاريخ والطب والفلك بعد أن كانت تطبع الكتب الدينية فحسب،ومن أشهر مطابعها مطبعة (الجوائب) التي أنشأها أحمد فارس الشدياق،وكذلك المطبعة (العامرة) التي نشرت شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي سنة1857م،ولكن لم تستمر الطباعة العربية في تركيا؛ لأن مصطفى كمال أتاتورك قضى على الخلافة العثمانية وفرض سياسة التتريك[2].

أما لبنان فقد عرفت الطباعة سنة1610م عندما دخلت مطبعة (دير قزحيا) وكانت سريانية عربية، واهتمت بالمطبوعات الدينية،ثم ظهرت مطبعة(الشوير) سنة1733م،ثم مطبعة القديس جارجيوس في بيروت، والملاحظ على هذه [1]المطابع قلة مطبوعاتها التي تميّزت بأنها دينية،ولكن لم يكن لها أثر يذكر حتى سنة1834م، إذ نجد نشاطها ضعيفاً مما يدلّ على الحالة الفكرية في لبنان التي لم تكن تدعو إلى الإكثار من المطبوعات[3].

ثم وثبت الطباعة في لبنان وثبة كبيرة عندما أُنشِئت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة1854م، وقد ابتعدت عن الصبغة المسيحية شيئا ما، وكان لها فضل ظاهر في نشر أصول اللغة والأدب كنوادر أبي زيد الأنصاري سنة1894م، وتهذيب كتاب الألفاظ لابن السكّيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني،وفقه اللغة للثعالبي،ثم توالى ظهور المطابع بعد ذلك[4].

أما في العراق فقد ظهرت أول مطبعة حجرية سنة 1830م،ولكن لم ترسخ الطباعة في العراق إلا سنة1856م،حين أسس الرهبان الدومينيكان في الموصل مطبعةٌ كاملة،وفي فلسطين

---

(1) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره:104.
(2) ينظر: م . ن: 105، ومدخل إلى نشر التراث العربي:28.
(3) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 105.
(4) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربي:29، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 106.

عُرِفت الطباعة سنة1830م، وفي اليمن أُنشِئت أول مطبعة سنة1877م، وفي الحجاز سنة1882م،وفي عمان الأردن ظهرت المطبعة سنة 1922م[1].

وبطبيعة الحال فإن الطباعة قد أثّرَت في النشر العلمي للتراث العربي، الذي أخذ صورته الكاملة في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، فقد أخرج المجمع قدراً عظيماً من كتب التراث المحققة بشكلٍ جيد، وتدور معظم هذه التحقيقات حول نصوص اللغة العربية والأدب العربي، وقام نخبة من علماء سوريا بنشر الكثير من النصوص المحققة كمحمد كرد علي، وشكري فيصل، ولعلّ أبرز أعضاء المجمع الذي قام بنشر بعض كتب التراث هو أحمد زكي باشا الذي نشر (نشوار المحاضرة وبحر العلوم وديوان الوليد بن زيد)،ونشر المجمع كثير من الكتب منها (رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري) و(الأشربة لابن قتيبة) وديوان (علي بن الجهم) وغيرها[2].

المطلب الثالث:التحليل الزماني والمكاني والموضوعي للكتب المحققة:

ذكرنا سابقاً أنه وزعنا الكتب المحققة على عشر فترات،طول الفترة خمس سنوات؛وذلك لقلّة النتاج من جهة،وليكون التوزيع أكثر واقعية من جهةٍ أخرى،حيث أن هناك فترات لا يمكن تجاهل أعداد الكتب المحققة عن فتراتٍ أخرى لم يظهر بها سوى كتابٍ أو اثنين.

بلغ عدد الكتب المحققة (37) سبعة وثلاثين كتاباً، موزّعة كما في الجدول(1) على الفترات،كانت منها(6) ستة كتب نُشِرت دون تحقيق أو مراجعة،أما بقية الكتب فقد حقق المستشرقون براجشتراسر وكوفلر وجلاسر كل واحد منهم كتاباً واحداً فقط، أما هفنر فقد حقق(5) خمسة كتب،أي: أن المستشرقين حققوا (8) ثمانية كتب فقط، يبقى (23)ثلاثة وعشرون كتاباً حققه العرب،وتُظهِر القائمة[3] أن الكتب المحققة على يد المستشرقين كانت في بداية النصف الأول الذي نحن بصدده، ثم بدأت تقلّ حيث اضطلع المؤلفون والمحققون العرب بهذه المهمة،فجاء محمود شكري الآلوسي والأب أنستاس ماري الكرملي ومصطفى صادق الرافعي وعبد السلام هارون وأحمد زكي ومحبّ الدين الخطيب ومحمد علي النجار ولويس شيخو وعبد العزيز المعيني، ومحمد بهجة الأثري ومحمد كمال الأدهمي وعزّ الدين التنوخي وشوقي ضيف ومحمد عبد المنعم خفاجي وغيرهم حققوا كنوز التراث العربي ونشروها.

ونلاحظ من القائمة أيضاً أن دور المستشرقين بدأ يقلّ في التحقيق؛لأن المحققين العرب أصبحت لديهم إمكانيات أكبر في النشر،كما أن أصول وقواعد التحقيق بدأت تتضح وتستقر أكثر وصولاً إلى الوضع الذي أتاح لهم تحقيق كتب التراث اللغوي العربي.

---

(1) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربي: 30 ، والموسوعة العربية الميسّرة: 1152.

(2) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 106، 107 .

(3) ملحق (1).

جدول (1)

توزيع الكتب المحققة على الفترات

ت	الفترات	عدد الكتب المحققة
-1	-1901	5
-2	-1905	4
-3	-1910	5
-4	-1915	-
-5	-1920	3
-6	-1925	2
-7	-1930	6
-8	-1935	5
-9	-1940	1
-10	1950-1945	6
-11	المجموع	37

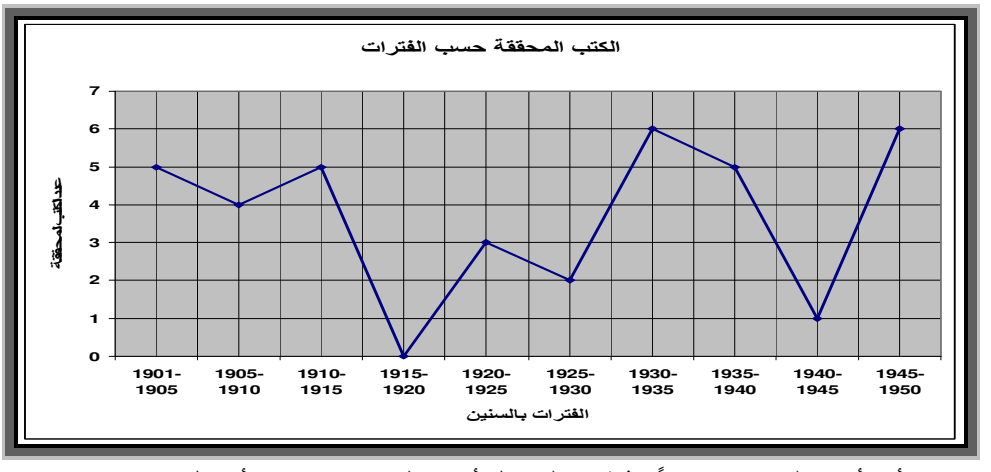

أما أكثر الفترات تحقيقاً، فيُظهِر الجدول أن هناك ثلاث فترات أفضل من غيرها، وهي كالآتي:

1- الفترة الأولى: من 1910-1914م، ظهرت فيها (5) خمسة كتب، وهذه قبل الحرب العالمية الأولى، إذ بدأ نشاط التحقيق.

2- الفترة الثانية: من 1930-1934م،وهذه ظهرت فيها(6) ستة كتب، وهي فترة استقرار نسبي بين الحربين العالميتين، انعكست على الحركة الثقافية كجزءٍ من النهضة العربية عموماً.

3- الفترة الثالثة: من 1945-1950، وهذه أيضاً ظهرت فيها(6) ستة كتب، إذ بدأ النشاط من جديد على جميع الأصعدة، حيث انتهت الحرب العالمية الثانية، ولنفس هذه الأسباب نلاحظ من الجدول فترتي الحرب الأولى والثانية لم يظهر فيها سوى كتابٍ واحد(الفترة من 1915-1919)،والفترة من (1940-1944).

أما التحليل الموضوعي فقد اعتمدت على العنوان فقط[1] حيث لم أتمكن من الاطلاع فعلياً على معظم ما جاء في القائمة(كذلك القوائم الأخرى) فضلاً على معرفتي موضوعات عددٍ من الكتب المحققة من خلال معرفتي الشخصية، فقد استفدت من التقسيم الموضوعي لكتاب (دليل الباحث اللغوي)[2] الذي أعدّه محمد خير بدرة من مجمع اللغة العربية، وثريا كرد علي من دار الظاهرية، وأشرف عليه الدكتور محمد علي سلطاني من جامعة دمشق، كما أضفت بعض الموضوعات على ما جاء فيه مثل(النحو والصرف والبلاغة)، وقد يتساءل البعض عن جدوى اعتماد مصطلحاتٍ عامة جداً (كالقضايا اللغوية والدراسات اللغوية)، والجواب أن مثل هذه الموضوعات العامة مفيدة جداً في تغطية موضوعات تعالجها كتب التراث العربي، إذ أن من المعروف أن معظم مصنّفات التراث العربي هي أعمالٌ شاملة وموسوعية تتناول أكثر من قضية في آنٍ واحد وعليه فإن معظم الكتب المحققة جاءت كما تظهر في الجدول (2).

توزيع الكتب المحققة موضوعياً

الموضوعات	عدد الكتب المحققة
قضايا لغوية	9
دراسات لغوية	8
قضايا لفظية	6
نحو	6
معجم	5
صرف	2
بلاغة	1
المجموع	37

أما أماكن نشر الكتب المحققة ومطابعها فمن مراجعة الكتب المحققة يظهر لنا أن المطابع أخذت على عاتقها طبع هذه الكتب، أي: أن المطبعة تقوم بدور الناشر أيضاً من توزيع وتسويق وشراء حقوق إذا كان الكتاب قد حُقِّقَ على يد محقق،وقبل ذكر أماكن النشر لابدّ أن نشير إلى المطابع أيضاً،حيث كانت الطباعة قد وصلت إلى مرحلة الازدهار نوعاً ما رغم أن الأحرف

(1) كذلك الكتب المؤلفة والبحوث المنشورة والرسائل والأطاريح.
(2) سيأتي تفصيل عنه في البحوث المنشورة(المبحث الثالث).

المجسَّمة ما زالت تُرتَّب وتُصَف يدوياً وفقاً للسطر المراد طبعه[1] ومع ذلك فإن عدد المطابع الوارد ذكرها في القائمة قد بلغ(16) ستة عشر مطبعة، بينما كانت هناك (3)ثلاثة دور نشر ظهرت كتبها في الفترات المتأخرة من النصف الأول، وهناك أيضاً ثلاث مكتبات،بقي أن نشير أن هناك(15)خمسة عشر كتاباً محققاً لم يُعرف مَن قام بطبعه أو نشره، ولا ننسى أن كتاباً ظهر محققاً لكنه نُشِر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وهو كتاب (الأزمنة) لقطرب حققه (هانس كوفلر)، وتعدّ هذه خطوة متقدّمة من أشكال نشر المؤلفات المحققة،حيث ما زال النشر والتحقيق في مراحلهما الأولى على حدٍّ سواء.

الأماكن التي ظهرت فيها الكتب المحققة تمّ إحصاء(24) أربعة وعشرين كتاباً في القاهرة[2]، وفي بيروت(9) تسعة كتب، و(2)اثنان في دمشق، وكتاب واحد لكل من بغداد والإسكندرية، كما في الجدول (3).

وتفسير ذلك هو ما ذكرناه مسبقاً في استعراضنا لدخول الطباعة إلى البلاد العربية،حيث إن القاهرة وبيروت كانتا من أوائل المدن العربية التي دخلت فيها المطابع قبل غيرها؛نظراً لقربها من دول أوربا أولاً ولنشاط المستشرقين فيها ثانياً، وكذلك حركات التبشير والتنصير وربّما الاستعمار أيضاً.

جدول (3)

توزيع الكتب المحققة مكانياً

ت	الأماكن	عدد الكتب المحققة
-1	القاهرة	24
-2	بيروت	9
-3	دمشق	2
-4	الإسكندرية	1
-5	بغداد	1

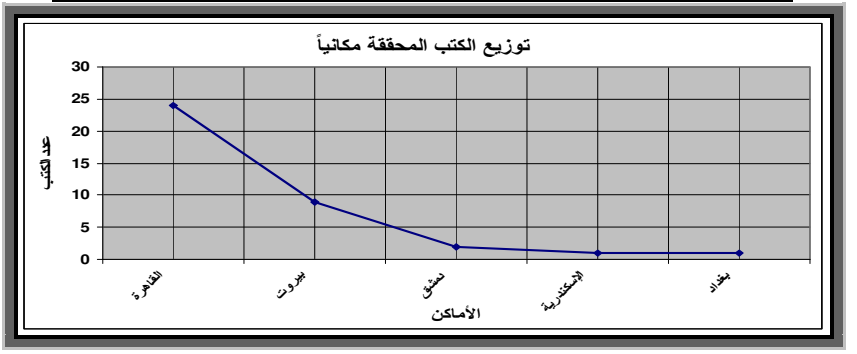

(1) يتمّ تجميع أحرف الكلمة المراد طبعها حتى سطرٍ كامل وصفحةٍ كاملة،ثم يضغط وهكذا،قبل أن تتطور آلات الطباعة بالأوفست وغيرها.

(2) وردت كلمة {القاهرة} في القائمة في بعض الأحيان بين قوسين معقوفين بدل كلمة (مصر) التي يقصد بها القاهرة